قراءة في كتاب الليل

شعر

أحمد سويلم



قراءة
في كتاب الليل

الطبعة الأولى

١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م

القاهرة ١٦ شارع جواد حسني - هاتف ٣٩٣٤٥٧٨ - ٣٩٣٤٨١٤
برقيا شروق - تلكس : 93091 SHROK UN
بيروت ص ب ٨٠٦٤ - هاتف ٣١٥٨٥٩ - ٨١٧٧٦٥ - ٨١٧٢١٣
برقيا . داشروق - تلكس SHOROK 20175 LE

قراءة

كتاب الليل

شعر

أحمد سويلم

دار الشروق



« ما أتعَسنا نحن الشعراء

فقراءَ إذا صحونا ..

آلهةً إذا غفونا »

أبو القاسم الفردوسي



لــو !

ـ لو أملكُ أن أنْـزِعَ
نفسى من أنيابِ الزمنِ الوحشية ..
ـ لو أملك أن تمتدَّ اللحظةُ حتى تصبحَ زمنا ..
أن تمتدَّ الخطوةُ
حتى تصبحَ دربا ..
أن تتوقفَ دوراتُ الأرض
تكفَّ الشمسُ عن السَّعى المحموم
أن تأتينى أيامى القادمةُ ـ الآن ـ
أنسجُ منها عمرى
أصنعُ منها قدرى

أجعلُها أرضاً تخصبُ

بحراً يأتى بالخير

ينبوعاً للحبِ المتجددِ فى الأعين..

ـ لو أملكُ

لو أملك أن أعزفَ لحناً عُلوياً فى أرضٍ عذراء

أن أُسْمِعَ صخرَ الأرضِ تراتيل غناء

ـ لو أملك

لكن القدرَ العاتى يرصُدنى بالعينينِ القاتلتين

يأبى أن ينموَ عُشْبى شجرا

أو يصبحَ لحنى عشْقاً ممتدا

أو يختصرَ الزمنَ بهذى اللحظة !!

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لحظة صمت

ـ رائعٌ أن تكون على أُهبة الحب
ثم يجيئُك نَسراً يعانى الظمأ ..
ـ رائع أن تظلَّ سُطوراً من الحُلم
ثم تصيرُ الحروفُ شفاها
تصيرُ عيونا
تصيرُ قلوبا
وتملكُ من موجك المبتدأ ..
ـ رؤيتى اتسعت فى امتداد ذراعىْ
يالامتدادَ الرؤى .. وانهمارَ المدَد
وتضيقُ العبارةُ ..

أين احتمالُ الحروفِ .. وفيم البدد
والذى كان يأسِرُنى فى الزمانِ القديم
تجدَّدَ بين يدىِ .. واتقد ..

....

ـ سيدٌ وجعى .. وعميق
ومفترشٌ لغتى .. طرقاتٍ من الجمر
فيها تسكّعتُ
فيها كبْوت
ولكننى الآن أعرفُ كم تتقاطعُ فى ناظرىَّ
المسافاتُ
كم يزحفُ الصمتُ يتركُ فى القلبِ نافلةً
فى غياب التواريخ .. قافلةً ..

ـ مدنٌ . قد تغيب
وأخرى تقومُ جزائر ..
لكنَّ ما نغرسُ الآن ليست كهذى المدائن

ـ ياأيها اليمُ .. فُتِّتْ كما شئتَ موجَك

كلُ الرذاذ الذى يسقُط الآن فوق الوجوه

طيورٌ من العشق ..

ياأيها اليم .. هات المفاتيح

كلُ المغاليقِ توشِكُ أن تصدأَ الآن

لن تجدَ اليوم من يمنحُ القلبَ .. والعينَ .. والصلوات

استوِ الآن فوق الأكف

حماماً لأحْلى الرسائل ...

نحن إليكَ انتماء

ونحن احتراق ..

ونحن ارتخاءٌ على الموج

ـ حين غرقنا .. انصهرنا مع المدِّ

لم يجرؤ الخوفُ أن يخنق الماء

لم يجرؤ الصمتُ أن يتمطّى مع الليل

كنتَ الأمانَ لنا .. والطيور

وكنت الجنونَ .. الفتونَ .. العبير ..

- رائعٌ وجعُ العاشقين
نتطهرُ فيه .. فننمو نخيلاً يطولُ .. يطول
يشقُّ السماءَ جناحين ..
ورداً هناك .. وتعويذةً فى العيونِ هناك
وبينهما الوجهُ يورِقُ صَفصافةً
والمسافاتُ لا تتعدَّى انفراجةَ كف
وفاصلةُ الأرضِ فى القلب ..
- ياأيها اليم ..
صوتُ القصيدةِ يبدأُ من لحظةِ الصمت
والنورُ من بقعةِ الظل
كيف تؤرخُ هذا الزمانَ الجديد
ولا تتوخَّى الحقيقةَ والصدق ..
إنا ظللنا على أهبةِ الحب ..
حتى استوى الحبُ فى القلبِ ساريةً
أيها اليمُ .. جُدْ باحتوائك
إنا أتيناك من زمنِ المستحيل .

٢٧ - ١٠ - ١٩٨٨

الملكـة

ـ مملكتى العشقُ .. وأنت التيجانُ الورديةُ .. أنت الشاراتُ .. الأوسمةُ .. وأنت الملكة ..

ـ عندكِ ذاكرةُ الماضى تسقطُ .. كى تتجدَّدَ فى شطيكِ سطوراً من ألقٍ .. خطواً ممتداً .. نقشاً .. جمراً لا يهدأُ .. مطراً يغسِلُنى .. تأتى غيمتُه من عينيكِ .. يطهِّرُنى .. ويعطِّرُنى .. ويلقِّنُنى كلَّ طقوسِ الحبِ .. ويُفسِحُ لى فى الآفاقِ .. فيلقانى مَلَكٌ يحملُنى فوق جناحيْه من صحراءِ الحيرةِ .. يسْألُنى عن وردتِكِ الأُولى .. أنزِعُها من صدرى .. تتفتحُ فى هذا الألقِ العُلوى .. أطوفُ به .. أتلاشى .. أشعرُ بالرِعدة .. أسألُ عنك .. فيأتينى صوتُك عبرَ الريح يُسَامِرُنى .. أعبرُ لحظتَهَا الصخرَ .. البحرَ .. الأسلاكَ

القاتلةَ .. وكتبَ الموتى الأحياءِ .. يُعاودُنى الصوتُ .. فأعبرْ ..
لا توقفنى أوجاعُ القدمينِ .. ولا تكسِرْنى الرعشةُ .. يقتربُ
الصوتُ .. فأصعدُه سبباً سبباً .. أغزُو الأسوارَ .. ينازلُنى
صوتُكِ .. أبتلعُ النارَ .. فأخترقُ الكوْن بلا ريحٍ عاتيةٍ حتى
ألقاكِ .. وبين يدى وردتُك الأولى أرشَقُها فى صدركْ ..

- فُتحت أبوابُ العمرِ القادمِ بين يديكِ .. وفُتحت كلُّ بساتينِ
الورد .. وذقتُ حلاوةَ هذا الشهدِ النارىِّ .. وعافت نفسى كلَّ
بساتينِ الأرضِ الذابلة وألصقتُ شفاهى فى صدرك .. فانطلقتْ فى
آفاقِ الحُلم عصافيرُ تشدوُ .. وتدقُّ طبولَ الفرح .. وتعزفُ أنغاماً
تُشعلُ فى القلبِ نخيلاً خِصْباً .. أنهاراً .. ونقوشاً خالدةً .. وتجىء من
الغيبِ ملائكةُ اللهِ .. فيهرُب من ساحتِها الشيطانُ .. وتنأى
الجنياتُ .. ويأوِى الملاحُون إلى أرصفةِ البَحْر ..

هذا وقتُ لقائِك يامولاتى .. فى يدكِ عصاكِ القدسيةُ .. تضربُ
قلبَ الماءِ فينشقُّ .. وتهمِسُ للعفريتِ ليأتىَ بالأخبار .. فيرحلُ .
يرحلُ .. يرجعُ مشتعلاً غيظاً .. فتنادين علىَّ .. أجيئكْ من بين
غبارِ السفرِ .. ومن بين الأزمنةِ الراحلةِ .. ومن بين الوجعِ

المتوقد .. أشدُو لحنَ الدفءِ .. وأسكنُ عينيكِ .. وأُغلقُ هدبيْكِ
على جسدِى .. لا أبغى أن أَشْهد إلا هذا السِّرَّ المتجددَ.. أسترخى
فوق العشبِ الظامئِ .. يمتد جِوارى نهرُكِ .. أتفيأُ ظلَّ نخيلك ..
أنظرُ آفاق فى عينيْكِ الطيبتين ..

- مملكتى أنتِ
وأنت الملكةُ - فاتنةً - تسْقينَ السِّحرَ
وتأوين القلبَ .
وتأتين بكل الحب ! .

١٨ - ١١ - ١٩٨٨

اليمامة

- ساهرٌ.. لا يَقَر

والشِّغافُ الذى قيَّدَ الجُرحَ

ضاقَ به .. وانصهر..

هل تفجَّرَ من نبعِهِ النهرُ..

أم صارَ نافورةً فى الحجر..

- أفتح الآن مملكتى

فترفرفُ فوقى يمامة ..

وتحطُّ على كتفىَّ.. تؤدى صلاةَ السَّحَر

ثُم تفتحُ باباً إلى القلب

نهراً إلى الدم ..

صفصافةً لحقولِ الشَّذا .. والسفر ..

ـ خفقةً .. خفقةً

دثرتنى اليمامةُ ..

تُطلق سِرْبَ الحروفِ الذى لم تنلْه الرياح

تعيدُ القراءةَ فى دفترِ العشق ..

أىُّ هذا الغياب الحضور

وأى صدىً أستعيد ..

ـ يقظةً .. يقظةً

تستحثُّ خطاىَ .. وتختصرُ العمر

تُخمد زوبعةً فى السؤال

وتُسكتُ صوتَ الظمأ

ـ إنه النهر ..

(يمكن أن تَنْزِلَ النهَر ما شئت)

نَهرُكَ .. لم يجْرِ حتى ضربتَ عصاكَ

على الصخر ..

ياشغفَ القلبِ والعين

أمسى أشيِّعُه الآن

حين هبطتِ عليَّ .. تُسِرِّين لى ..

وتروِّين عينىَّ نورا

تهزِّين نخلَ التراتيل ..

ـ هذا دمى .. دفقةً .. دفقةً ..

ساومتْنى عليه الجوارحُ

كادت تعتِّقُه فى المناقير

هذا دمى ..

حملته البراكينُ جمرا

تلته الرياحُ .. شذا

أسقطتْه السماءُ كتابا

....

ضحكت طفلةُ الحبِ بين ضلوعى :

ـ إننى أتجدَّدُ فيك

فلا وقت أن تتذكرَ عمرَ الأسى

واقتفاءَ الزوابعِ ذاكرة الوجد

ـ فجأة .. فجأة ..

نزعتنى اليمامةُ من وجعِ المستحيل

وألقت على القلبِ ماءَ الفصول

توحدتُ .. ذبتُ بهذا الفَنَاءِ الجميل

ـ ساهرٌ .. لا يقَر ..

ساحةُ القلبِ مملكة أنتِ فيها الزمانُ الندى

استريحى على كتفىَّ

اسمعى خفقة الحبِ تنتفضُ الآن مثلكِ ..

تسكنُ عُشاً بعيدا عن الأرضِ

نحن بدأنا الرحيلَ معا .. سهراً بسهر

واحتكاماً لعينيك

والشعرِ

والعشقِ

والسنبلاتِ

وكلِ الفصول ..

قراءة فى كتاب الليل

ـ ممتلئٌ شعرا

محتدمٌ .. جمرا

أقتربُ إلى شعلتِكِ المتوهجةِ

فتجذبنى ..

تدعونى أن أقبضَها ..

أن أعصِرَها ..

أن أقذِفَها فى الكون

فتضىءُ الليلَ .. وتمنحُنى سحرا ..

ـ أحيانا ..

تأسِرُنى .. وتقيِّدُنى .. تُلقينى فى البحرِ لعلَّ الموجْ

يطفئُنى زمنا ..

- أحيانا ..

أقبضُها .. ألصقُها فى عينىّ

أُغلق هدبىَّ عليها ..

أعبدُ فيها السِّرا ..

- عيناكِ تحومان بليلِ الحب

وتحطَّان على وجهى ..

أصلُ عيونى بعيونكِ

أنزِع من عينيكِ أساها

من قلبك أستلُّ الآها

وأجردُ نفسى من نزواتِ الأرضِ

ووجعِ الليلِ ..

أحلِّقُ فى ملكوتكِ نَسْرا

يبنى مملكةً لك

يقبضُ من نخلةِ دجلةَ رُطَبا

يجعله يمتدُّ إليك .. سَبَبا

يختصرُ الزمن

ويغزلُ كلَّ مسافاتِ الأرض

ويصل النهرَ بماء النيل ..

تطفو فى هذا اليم جزائرُ حلمٍ خضراء

أُصلحها .. وأقصُّ العشبَ المتوحِّشَ إذ ينبتُ فيها

أبنى معك عليها كوخاً لاثنين ..

– هل يعرف أحدٌ منا ماذا خلف البيْن

وأين ..

أين نلاقى القدرَ يداعبُنا ويصادقنا

ومتى يُسقط ثمراً فى الكفين

ومتى يصْفو ألقاً فى العينين

– هذا ما يملؤُنى شعرا

ويفتتنى جمرا ! .

بغداد

٢٧ – ١١ – ١٩٨٨

لما حررني الشعر

لا أكتمُكم ..
كان خجولاً يهرُبُ من ظله
كان يسيرُ جِوارَ الحائطِ ينظرُ فى قدميْه
حيناً .. يُفلت من أعمدةِ النور
وحيناً .. تُدمى رأسَه ..
كان يمرُّ على المقهى يسْعَلُ من أدخنةِ الليل
كان يرى العشاقَ .. يديرُ لهم ظهره
وكأنَّ صديقى عند الله ..
نبىٌّ يحملُ أسْفارَ الحكمة

....

لا أكتمكم ..

كان شقياً .. حتى طوَّقه الشِّعر

وكان أسيراً .. حتى حرَّره الشعر

وكان عيياً .. حتى أنطقه الشعر ..

....

وانتصب الشعرُ بقلبي شجرا

يثمرُ كلَّ صباح ..

أحببتُ به .. وكرهتُ به

وسموتُ به ..

وهبطتُ به بين صعاليكِ العصر

قالت لى مرة :

- غيِّرْ لونَكَ واسترخِ على عرشِ الكلمات

وادخلْ بين أزقتِها .. وامرحْ فى الساحات

لكنى أسقطتُ العاشقةَ العصريةَ من قائمتى ..

وكتبتُ لها :

دونكِ غيرى .. يمتلكُ القدرة

إنى أوثِرُ أن أحترقَ بجمرِ الكلمات
وأودِّعَ كلَّ المعشوقات
إلا واحدةً تحملُ قنديلى فى الطرقات
تطفؤُه الريحُ .. فتشعلُه مرات
ينكسرُ .. فتصلحُه مرات ..
انتزعت عاشقتى العصريةُ قبضتَها القفازية
لكمتْنى فى وجهى ..
صاحت : لن يمنحَكَ الشعرُ جناحَ بعوضة
وعلى أرصفةِ الليل
أجنحةٌ ملقاةٌ .. ما شئتَ تخيَّرْ منها
فتحلقْ فوق البشرِ .. وفوق الأبراج
قلت : وماذا بعد
قالت : لو أنك تُنْصِتُ لى
لانفتحت أبوابُ الساحات
وأحاطتكَ الأوجهُ والزينات
وغدت كلماتُكَ فى عُلب الليل

أحلاماً من ياقوت ..

....

- لا أكتمكم ..
لما طوَّقنى الشِّعر
ولما حرَّرنى الشعر
ولما أنْطقنى الشعر
غيَّر جلدى الأملسَ .. عصياناً للمألوف
وجراحاً لا تبرأُ أبدا
وبحاراً .. عاصفةً من عشق
كيف إذن أُمسى عبدا
تتقاذفُه السادةُ
والألوان ..

١٠ - ١ - ١٩٨٨

الخطأ

ـ مرةً ..

غاب عن خاطرى الشعر

وظننتُ الشروقَ انطفأ

وسمعتْ صريرَ الحروفِ يزلزلنى ..

ويسوقُ إلىّ النبأ ..

ـ إن عينَكَ ليستْ من الصقر

قلبَك ليس من الحجر

خطوك فوق السفوحِ انكفأ

قلت :ما الذنبُ ذنبى

إنى تأبطتُ عصراً من الحزن

عصراً من الفقر

عصراً من الموت

ما الذى يفعلُ الشعرُ لو يجترئ

قيل : لو تصمتُ الآن

إنك فى خبرٍ قد يطولُ .. يطولْ ..

بلا مبتدأ ..

....

ـ هل أرى الآن قدْرَ الخطأ

(ربما قد أتينا خطأً !)

ربما العجزُ سدَّ علينا الدروب

فغفَلنا عن الحب

عن حكمةِ العصر

عن لغةِ الشعر

وعلانا الصدأ ..

أىُّ شىء تُرى قد يعيدُ لنا الوجه

أم أن تعويذةً .. قد تُبدِّلُ عصراً بعصر

فيجرفُنا الموجُ للمبتدأ ..

ـ ما الذى يتسلَّلُ يروى الظمأ

الصوابُ الذى أثقلته الخطى

أم جنونُ الخطأ ..

٢٨ ـ ١٠ ـ ١٩٨٦

ريهـــام

[فى العام السادس عشر]

فى طرفةِ عين

ملأت ريهامْ سَوَادَ العين

فى طرفةِ عينٍ أخرى

حضَنتْ حُلم الكون ..

فى العام السادس عشر

قبضت بين يديْها قوسَيْن ..

ـ نضجت ريهامْ .. وزغردَ فى شفتيْها السحرـ

وتصارعَ فيها الماضى والقادم

أثـمرَ فيها العمر ..

- ما عادت ريهامُ صغيرة

لكن ..

ما زالت عندى فى عُمر الزهر

أرشَقُها كلَّ صباحٍ .. كلَّ مساء

فوق شفاهى ..

ألصَقُها فى عمقِ الصدر ..

وأغنيِّها أجملَ ما أكتبُ من شعر ..

- ملأت ريهامُ سوَيْداءَ القلب

واستولت فيه على شلالِ الحب ..

وانطلقت أسئلةٌ حيرى

تتقاطر من شفتيها .. كالدر

فأحضُن دهشتَها .. وأضاحكُها

أُنْسيها الأسئلةَ الحائرة ..

وقلبى يشْق بالجمر ..

- ريهامُ تُفجرُ فى أعماقِ الصخر ..

تنبُشُ أشجانَ العمر.

لكنْ .. عيناها لى نافذةٌ تحلُو فيها الشمس
ويصفُو فيها البدر ..
أنظر فيها العالم ..
أقرأ فيها العمرَ القادم
أُسقطُ فيها بعضَ الأسوار
وأفَسِّرُ فيها بعضَ الأسرار
- عيناها لى قدرٌ ..
يهتكُ فى داخلىَ السِّر
أرْضى أن أخْسَرَ فيه كلَّ العالم
أربحَ فيه بسمتها النورانية
أرضى أن أخسَرَ فيه كلَّ الأحلام
وأربحَ فرحتَها الطِفْلية
أرسُمَ كلَّ خرائطِ خطْوى القادم
لكنْ يكفينى أن ترسُم لى بأناملها
بعضَ خطوطٍ ذهبية
نضَجت ريهامُ .. وزغرَد فى شفتيهْا السحر

نضجت .. وامتلكتْ عالمَهَا الحر

ـ كتباً .. أوراقاً .. أثواباً .. أسراراً من عطر ..
وحديثاً يأسِرُ أو يعسُرُ
يحمل للقلبِ بكارتَه الدافئةَ
بليلٍ قَرّ ..

ـ نضجت .. فبماذا أُوصيها الآن
وأنا أخشى أن تنظرَ لى .. وكأنى من أشباحِ رمادِ الماضى

ـ أحيا مازلتُ بسوْطِ الجلادِ .. وصوتِ القاضى .
هى تبغى لو يتغيرُ جلدى ..
لو يتبدلُ لونُ الخوفِ عليها فى وجهى
لو أمنحهُا حريةَ أن تحيا
أن تخطئَ
أن تدرك
حريةَ أن تبكىَ .. أن تضحك

....

- باحت عيناها لى : لا تخْشَى ياأبت ..
هذا زمنٌ مختلفٌ عنكم
يرضى أن نلبَسَ فيه جلداً غير الجلد
أن تصبحَ كلُّ الخطواتِ إليهِ مثلَ المد

....

- ريهام تفجرُ فى أعماقِى الصخر
ما عادت ريهامُ صغيرة
صارت تطلقُ فى أعماقِى أفراحَ العمر...

٢٦ ـ ٣ ـ ١٩٨٨

شـظـايـا



أنتِ

- إن لم تكونى أنتْ
تمزقين عند كلِّ مفرِقٍ خمارَ الصمتْ
وتشْرَقِينَ كلَّ ليلةٍ
بقصةٍ جديدةٍ .. ما اشتهيتْ
إن لم تكونى أنتْ
تناجزينَ الموتْ ..
وتحملين شعلةَ الدفءِ إذا شكوْتْ
لكنتُ منذ اللحظةِ الأولى .. انزويتْ
ونلتِ منى المقتْ . !

....

طغيان

- طاغٍ فى قلبى نأيُك
طاغٍ صمتُكِ ..
صوتُكِ ..
ليلُكِ ..
شمسُك ..

لا أبغى جبلاً يعصِمُنى منك
أو أحداً يشغَلُنى عنك
فأنا أتحررُ فى طغيانك !

....

لـو أن ..

ـ لو أن الريحَ بِساطٌ يهبطُ بين يديك
لو أن الشجرَ المتسَكِّعَ فى شطِ الأنهار
يتناقلُ أشعارِى حتى أذنيْك
لو أن الشمسَ استرختْ فى دَعةٍ .
تلثِمُ هُدْبَيْك
(لانعدمَ الزمنُ ..
وضاقت كلُ مسافاتِ الأشواق !)

. . . .

خــروج

حين تجفُّ المدنْ ..
وتحتبسْ الريحُ وراءَ جدار
تتسلَّلْ من بين شقوقِ النار
أفاعى الزمنِ المنهار
أتمنى ساعتَها أن يتقشَّر جلدى
أن يتناثرَ .. جَسَدى
أخرجُ من دائرةِ الأرض
ومن ذاكرةِ الإبصار !

....

طير

ـ في الليل أشَاعُوا عنك ..

(نامت في أحضانِ غريب

غابت ..

وتخطَّفَها الطيرُ الجارح)

حين بكَرْنا .. وتساءلنا

كانت أيدينا داميةً ..

كنا الطيرَ الجارح .. !

....

....

نـوق النعـمـان

- حين قضوا أن أغْرُبَ عنهم
وأجيء بنُوقِ النُعمان
كان الزمنُ بقبضةِ كفيِّ
ومسافاتُ الأرضِ أمامى .. خُطوة
لكنى لما عدتُ إليك
انفرطَ الزمنُ وحوشاً جائعةً ..
تأكلُ نوقى
وتخطُّ الليلَ على عينىّ . !

....

القـادم

- أقف على ناصيةِ الليل ..
الناسْ هنا مشغُوفون .. ومهمومون
منهم من خاصرَ محبوبتَه .. يغزلْ عرشاً
في أوديةِ العشق ..
منهم من أعْطَى ظهراً للناس ..
يغوصْ خلالَ زجاجِ المعروضات
يتحسَّسُ حافظةَ نقوده ..
ويقطِّبْ جبهتَه .. ويسيرُ بعيدا !
منهم من ينظرُ في قدميْه كمن يبحثْ عن شيءٍ ضاع
منهم من يسرعْ ..

من يبطئُ ..

من يهذى ..

من يترنح ...

لكنى ـ وحدى ـ

أقف على ناصيةِ الليل .

تشغَلُنى أسئلةٌ تأتينى من ضوضاءِ المارة :

(لماذا يقهرُنى الليُل .. ويبقينى أحرُسُ ناصيتَه

أرقبُ فى سُخْط .. حُلمَ العشاقِ

وفرحَ العشاق

ولا يأتينى القادمُ فى الغد . !)

الحلـم

ـ أتسمَّعُ صوتَكِ موسيقى بين الأصوات
أتحسَّسُه ..
ألمِسُ قسماتِه
أتشمَّمُ عطرَه ..
(حين تجئُ الريحُ بأصواتٍ خادعة
أُعطيها ظهْرى ..
لا أسمُح أن تغزُوَنى
حتى يأتينَى صوتُكِ فى عرباتِ الشوق
فتطلُع منه شمسُ الحلمِ القادم !)
....

المستحيل

ـ حلماً ألقاكِ

ودفئاً ممتداً .. نتعانق

ذاكرةً لا تهدأُ ـ حين يفرِّقُنا الليل ـ

(أيُ خطًى ساخطةٍ

يمكن أن تسحقَنا بعد . ! ؟)

....

أوســمتى

- أرحلُ فى مدنِ العالمَ
فى ذاكرةِ الأَشجار
وذاكرةِ الآبار
وأرحلُ بين متونِ الأسرار
(لكنى .. لا أجنى أوسِمَتى إلا فى عينيْك !)

اسمك

ـ كان اسمُكِ منقوشاً فوقَ الصخر
حتى غطَّاهُ غبارُ الأيام
فسَمَّوْك ملايينَ الأسماء
لكن اسمَكِ في بؤبؤِ عيني محفوراً ـ مازال ـ
لم يسْقِطْه غبارُ الأيام
وأكَنِّي عنه بملايينِ الأسماء ..

. . . .

البحر

قالوا : إذا رأيتَ البحرْ

سبّح بموجهِ واسترخِ ..

ـ عيناكَ إلى السماء .

يمنحْكَ ما لم يمنحِ الطيور ...

لكنما قلبي معلَّقٌ بغيرِ البحر ..

إذا قطعتُ وصلَهُ .. جفَّتْ دماؤه

تَقَصَّفَتْ أعوادُه

وليس عند البحرِ .. ما يصِلحُ ما انكسر !

....

زمـانـنـا

ـ الدراويشُ عادوا يجيدُون صُنْعَ الحِكَم

الدراويشُ يقتتلونَ على الأنصِبَة . !

أيعودُ زمانُ الكِهانةِ ثانيةً

أين فينا النبىُّ الذى .... !

(قد مضى زمنُ الأنبياء

واستوى فوق أحلامِنا الأدعياء

وارتضْينا السأم . !)

....

الدائــرة

ـ في كل صباح .. تُنهى لُعْبَتَها
تَسْكُتُ عن بوحِ الليل ..
تقرعُ رأسِي .. يتوقَّفْ ..
تسألني نفسيَ الأسئلةِ الملتوية
ويسائلني أمْسِي .. وغدى .. ويسائلني أطفالى ..
(وعلى باب الليلِ القادمِ
غازٍ .. آخر . !)
....

متـى .. ؟

ـ الصلاةُ على مَفْرِقِ الطرقات
للذين يجيئُون بالحب ..
أو للذين يجيئُون بالبغض ..
كلُّ شيء على مفرِق الطرقات
غارقٌ فى الطقوسِ بلا تفرقة
والخُطى حولَه .. مُرْهَقة
ـ فمتى يُنزل الوجهُ أصباغَه
ومتى تسْقُط الأقنعة . !

....

المـوت

يفجؤنى شبحٌ ليلىٌّ
أَثْقَلُ من هَمِّى .. ـ أحسَبُه الموت ـ
آه .. لا أتعجلُ ضيْقى
فأنا أغزلُ مازلتُ خيوطى
وأُعَلِّقُهَا فوق جدارِ الصمت
فيكونُ الشعر !

. . . .

متهم

متهمٌ بالشِعر

ومتهمٌ بالعِشْق

ومتهم بسَعِيرِ الكلمة ...

ـ يا كلَّ قضاةِ العصر

معترفٌ بالذنبِ أنا ..

فإذا راقَ لكُم قتلي

فالتهمةُ باقيةٌ لزمانٍ آخر .. !

....

تجربة

ـ كان حين انطلقْنا معا

كان مثلىَ يعشَقُها .. ويطيلُ التعبد

كان للنهرِ فى القلبِ مجراه

للنخلِ .. مثواه

كانت الأرضُ إيوانَ مسجد ..

ـ كان حين انطلقنا معاً .. أصدقاء

نتقاسمُ وُدَّ الجميلاتِ فى قاعةِ الدرس

أكتبُ فيهنَّ شعرى

وأرسُم أحلامَهن على صفحةِ النهر

ـ لكنَّه لم يكنْ شاعرا ـ

ـ أتذكُر يوماً أتى صاحبي واستدانَ قصيدةَ حب
أدركتْها حبيبتُه .. هجرتْه
وأقصَتْهُ عن جنةِ الحبِ مثلَ الشياطين
(من يومها ..
وصديقى َ متشحٌ لحيةً ليكفِّرَ عن ذنبِهِ المستحيل !)

....

ـ كان مثلىَ حين انطلقنا
كان ينبى قصوراً من الرملِ
كان يفاخرُ بالنيلِ ـ أجملَ ما فجّرَ اللهُ فى الأرض ـ
كانت الشمسُ فوق الحقول
تشقُّ لنا طرقاتِ النماءِ .. غدا ..
كان يسعدُ حين يجادلُ حول أصالةِ هذا الوطن ..
ـ كنتُ مختلفاً عنه ..
لكننا .. نتعانقُ فى آخرِ الشوط
نضحك فى آخرِ الشوط
نُلقى على النهرِ أثقالنا ..

ثم نمضى معا ...

....

ـ مرةً .. جاءنى ساخطا
حاملاً فى يديْه جَوَازَ سَفر
يومها .. كادَ قلبى يكُفُّ عن الخفْق
تمنيتُ لو شُـقَّتِ الأرضُ .. لو بلعتْنا معا ..

ـ (عهدُنا ياصديقى
نعيشُ على ضِفةِ النهر
نُلقى بأثقالِنا .. نتحملُ هذا الضجَر،
فلماذا السَّفرْ؟ ..)

قال : صوتُ الدنانير فى داخلى ينتصر
نهرُنا ياصديقىَ كان يَفيضُ على الضِفتين
ما الذى أمسَك النهرَ فاصفرَّ وجهُ السماء ..

قلت : للنهرِ مثلَ الجواد
كبوةٌ .. ويعود

صاح : إنى أسافرُ حتى يعود . !

قلت : تهربُ من ساحةِ الصبر
أين عهودُ الصِّبا بيننا
أين ما كنتَ فيه تجادِلُ حولَ الوطن ؟ .

قال : كنا نخادعُ أنفسَنا .. ونثرثرُ فى الطرقات .. ونهتفُ فى قاعةِ الدرسِ .. كنا صغاراً .. نُلَقَّنُ حباً عقيماً .. ونُسألُ فيه .. ونفرغُهُ فى الدفاترِ .. نُلقيه فى آخرِ العامِ فى عرباتِ القُمامةِ .. ثم نعودُ إليه .. نلوِّنُهُ .. ونزيِّنُهُ .. ثم نُسأل فيه .. ونفرغُه . نتخلصُ منه ونُمنحُ فى آخرِ الشوطِ صكَّ العبورِ إلى سنةٍ قادمة ! ..

قلت : والحزنُ يعصِرُنى :
ربما العيبُ فينا ..

صاح مخترقاً أضلعى :
ـ ليت من علَّمُونا أحبُّوا من القلب
كنا منحنا المحبة صادقةً .. والفؤاد
ليتهم ينتحُون قليلاً .. فيندفقُ النهرُ
يغسِلُ أعماقَنا .. وتجفِّفُها الشمسُ

حتى نفيقَ على الحُلِم والحزنِ والوجعِ السرمدى .

إننى الآن أرحلُ

ألبَسُ أرديةَ الزاهدين

وألبَسُ أقنعةَ المارقين

فلكل لباسٍ .. ثَمَنْ .. !

....

– لم أعد قادراً أن أعيدَ صديقى إلى ضِفةِ النهر

تلقَّيتُ منه خطاباً أخيراً يقول :

– ياصديق

إذا كنتَ مازلتَ تحفظُ بعضَ عهودى

فأنا قد نسيت

وإذا شئتَ .. ألقيتَها الآنَ فى النهر

كى تستريح .. !

٦ - ٢ - ١٩٨٦

طقوس زم الفم

ـ بعينىَّ حين يفاجئُنى الليلُ .. أسئلةٌ
وبكفىَّ رائحةٌ لغبارِ النهارِ
وحبرِ الجرائدِ
والكتبِ الجاهلية ..
والشوارعُ فى داخلى الآن نهرٌ كثيرُ الروافد
(إن يقبلِ الليلُ .. يطوِ إلى الصمتِ أطرافَه
فتزيدُ البلية ..)
ـ طُويت صفحةُ البوحِ من زمن
واختفت شهر زادُ الجميلة
والفقيرُ الذى كان يشكُو قديما

تخَلَّى هنا عن فصاحتِهِ

....

قلت : أخلعُ ثوبَ الترقبِ والشعرِ

أُبعد نفسيَ عن صفقاتِ الرفاق

وعن جدلِ القولِ ـ حول الذى كانَ أو ما يكون ـ

وعن أمسياتِ تزوِّقُها الكلماتُ

وتُزجى الفراغَ الذى ينهشُ القلب ..

قلت : الشوارعُ وجهى .. وصوتىَ

والأمسياتُ .. ودفءُ المواعيد ..

....

ـ متخمةٌ ياعيونَ الشوارعِ بالدمع

لكننا نحسَبُ الدمعَ ضوءَ القناديل

ـ مطفأةٌ يانجومَ المدينةِ تخلُو سماكِ من الحلم

(لكنما الشعرُ يوهِمُنا بالحكايا الدفيئة)

ـ معذرةً ياعيونَ المدينةِ .. إنا رصدْنا الوجوهَ طويلا

فلا طائلَ الآن أن نتأملَ بالشِّعر ..

إنْ أقفِ الآن سوف تداهِمْنى الخْطوات

وتسْحَقَنِى اللعناتُ

وتأكلْ وجهى عيونُ المرابين ..

ـ تجذبنى ملصقاتُ الشوارع

أنظرُ فيها اللغاتِ الغريبةَ

أنظر فيها وجوهَ الرجال .. وجوهَ النساء الجديدةَ

أسألُ نفسى :

متى ينظرُ الناسُ وجهىَ فى الملصقاتِ

وفى الصحفِ المستباحة

أصبحُ نجماً يحيطُون بى

وأوقِّعُ أوراقَهم بابتسامة ! !

ـ لا طائلَ الآن من ثِقَلِ الشعر

واللغةِ القُرَشية

والكتبِ الجاهلية

والنحو والصرفِ .. والأبجدية ..

(والوطنُ ـ الحلمُ ـ مستعرٌ فى الرمال

يفجِّرُ نخلاً .. وجُرحا

ولونُ الشهادةِ فى أعينِ الثاكلات

ولا يطفئُ الجمْرَ .. ما يفعلُ الشعر !)

ــ تلكَ الشوارعُ يملؤُها الناس

والناسُ لا يعرفون الطريقَ إلى قاعةِ الأمسيات

يتبارى بها الشعراءُ .. وهم يلبَسُون الثيابَ الأنيقة

يشكُون ملءَ القصائدِ جوعَ البطون .. وعُرْىَ الجسد ..

ــ كيف للقلبِ أن يتئد ..

والشوارعُ يملؤُها الناس

والناسُ لا يقربُون المحافلَ ــ يختلف المترفُون عليها

يقصُّون عن عبقريةِ (موزار)

أو ريادة (باوند) للشِّعر

ــ ونسوْا يوم ضاقَ بهم واحدٌ فتغذّى بلوحاتهِ النيلُ

ثم بكى .. وارتحل ! .

....

ــ فجأة .. أتوقفُ فى المنعطف

فأرى ألفَ باب .. وباب ..

وأود أصيحُ .. بما أعترف

الشوارعُ يملؤها الناس ..

والملصقاتُ .. ولونْ الوجوه الشقية

والوطنُ ــ الحلم .

واللعناتُ .. تحاصرنى ..

ــ أنظر كفِّىَ فارغةً .. فأزُمُّ فمى

وألوذُ إلى حائطٍ كادَ ينقض ..

أغمضُ عينىَّ ..

أقبضُ رأسى

لعلىَ أحلُم أن يتغيرَ جلدى

فأخلعُ ثوبَ الكتابة

ثوبَ الكآبة ..

٦ ــ ١ ــ ١٩٨٧

بـلادى

[بلادى وإن جارت علىّ عزيزة
وأهلى وإن ضنوا علىّ كرام]

ـ وقوفاً على بابكِ الآن
هل تضعين المساحيقَ ـ مازلت ـ
أم أن وجهَكِ أعْيا الأطباء حين اعتراكِ الوهَنْ
ـ شحوباً على ربوةِ الأمس
هل تندبين التوابيتَ ـ مازلت ـ
تحتملين المحنْ ..
ـ أمدّ يمينى .. امنحينى كتابَكِ
(هذا المُدَمَّى بلونِ صباك)

امنحينى كتابَكِ

غدرُ الصحابِ يظلِّلُ عينىَّ

يجعلنى الآن اقرأُ حتفَ الوطنْ ..

ـ لا تجورى علىّ

ولا تأمرى البحرَ تعصِفُ أمواجُه بالسفنْ ..

ـ لا تجورى ..

كفانى .. عصافيرُك الآن كفَّتْ عن البوحِ

والشجراتُ التى مدتِ الظّل أنقشُ عهدِى عليها

تخلت عن العهد ..

ـ إنى قدمتُ من النيل ..

والنيلُ مدَّ ذِراعيْه بالدفء

ضم اتساعَ خطاكِ ـ من البحرِ للبحرـ

ـ إنى قدمتُ من النيل ..

تشمَخُ فيه الشجيراتُ من أجلِ عينيْك

أطوى بجنبىّ لونَ صباك

وأطوى المسافاتِ .. أطوى الزمنْ ..

ـ امنحينى كتابكِ .. أقرأُ آياتِه الآن

أنزعُ صمتَ الكفنْ ..

فالصحابُ على ضفةِ النيلِ

لم يبخلوا بدماءِ القلوبِ عليك !

(التواريخُ تشهدُ

صخرُ جبالِكِ يشهدُ

هبُ العواصفِ يشهدُ

وقعُ خطاكِ من البحرِ للبحر...

يشهدُ أنا لكلِ المحنْ !)

ـ قيل : كم تدفعُ الآنَ للعشق

(كلَّ الثمن . !)

افتحوا الآن صدرىَ.. كم تشهدُون به من دِمَنْ

قيل : سيدةُ السُقم تخلَع فى الليلِ أثوابَها

لترتِّقَ ما أحدثَتْه الشظايا نهارا

فيسكنُها البردُ ملءَ البدنْ

ـ إنها الآن غارقةٌ فى الدماء

صبغتْ رملَها بالدماء
غسَلت حبةَ القلبِ واهنةً
أصبحَ اللونُ .. والصوتُ .. والليلُ .. والصمتُ .. والبحر ..
نبضَ دماء ..

- إنها الآن تنسى القصائدَ والشعراء
وتنسى الملاحمَ والبوْح
كلُّ الذى كان .. أصبحَ مثلَ الوثنْ ..
والذى جاء يركبُ مُهْراً ليطلبَها الأمس
أزهقَ طاقتَه .. وامتُهِنْ . !

- إننى الآن جئتُ ..
معى النيلُ مسْتعرا
أترى (أمُ أوفى) تقابلُ عاشقَها اليومَ بالشوق
أم أن عاشقَها قد تغرَّبَ
حتى إذا عادَ .. أخطأ لونَ السَّنَنْ . !

ـ قد تحملتُ من قبل
لكننى عشتُ خَطْواً من الجمر

أُلقى وصايا المرابينَ فى البحر

(كيف تغلِّقُ أبوابَها الآن دونى

تنبذُنى الأمسياتُ .. وحملقةُ الجاريات

ـ إذا جئتُ ـ نفقدُ حكمَتَنا .. ونُجنْ .!)

ـ فى دمائىَ ينخلُع القلب

دونىَ يشتعلُ البحر ..

فوق الرمالِ تدقُّ النواقيسُ

والشهداءُ يطوفُون بالليلِ فى الطرقاتِ البعيدة

ـ هل أَحرقُ الآن تلك السفائنَ .

هل أهرُب الآن حين تنادى الروابى المدماة

أزرعُ فيها المتاريس .

ـ سيدتى ..

إننى جئتُ .. لا تُسْلمينى لأيدِى الهزيمة

جُورى كما شئتِ (أنتِ العزيزة)

لا تفقدى الآن شوقَ المحارب

إنىَ وقعتُ بالموتِ ـ من زمنٍ ـ

كى تعيشى ..

وإن جارَ قلبُكِ ..

أنت الحبيبةُ ـ رغَم المحنْ ـ !

١٧ ـ ٨ ـ ١٩٨٧

أوسـمـة الـفـقـراء

[فقراءٌ .. لا .. والله
نحن ربابةٌ للسائرين
نُواحُها .. غنَّى بهم !]

محمود حسن إسماعيل

ـ بل شعراءٌ .. فقراءٌ .. والله
نتغنَّى بالداءِ .. ونفْنى فى الآه
ونسافرُ فى داخلِنا .. ونضِلُ كثيرا
نبنى .. نهدمُ أكواخاً .. وتوابيتَ
وأرحامًا .. وجباه ..
ـ نحن الشعراءَ الآذانُ .. الأعينُ .. والأفواه

....

ـ يا حادينا ..

هل تسألُ عن قافلةٍ كانت تسْرى بالحب

أم أنك تسألُ عن نخلتِكَ الشماء

لكم أسقطناها رُطَبا فى أيدينا

ثم تقافزْنا .. نخضُنها عبرَ مدقاتِ الحقل

فتسَّاقطُ منا ـ ترسُم درباً من تمر ـ

فيلاحقُنا الحارسُ فى يدهِ سكينٌ .. وبقايا سعف ! .

ـ كنا مثل القمحِ سنابلَ .. نضحكُ .. نضحكُ

لا يهزمُنا الخوف ..

فماذا أصبحنا ؟ .

شعراءٌ .. فقراءٌ .. واللهِ

ـ نتأمل بالشعرِ .. ونحكى قصتَنا لليل

لكنَّ نجومَ الليل تراوغُنا .. لا تسْمعنا

ـ نغرسُ حُلماً فى طرقاتِ العشق

فتُولد فى الفجرِ الأزهار .

وتذبلُ فى الفجرِ الأزهار ..

ـ نطلبُ نبعَ الأرضِ الصافى يرْوى ظمأَ القلب

لكنَّ الأرض

تشربُ ما ينبعُ من ماء

ما يهمى من أمطار..

ـ أصبحنا شعراءً .. فقراء

لم نشْكُ إلى أحدٍ وجَعَ الفقرِ.. وجذْبَ الشعر

ألجمنا أنفسَنا .. لا نقبلُ نصْحَ العالِمِ بالأمر

قالوا : كيف جهِلتم أسرارَ اللعبة ؟ .

يمكنكم فى ليلةِ سَمَرٍ أن تُمْسُوا بين الناس

سراةَ الشعراء

(فالبحرُ العاتى ينبُع من أقدامِ السادة

وسفينةُ نوحٍ تعبُره .. لا تخطئُ أبدا

والشمسُ خيوطُ الخير على أرضِ الخصب

لا شيء هنا مذمومٌ .. أو يُوحى بالجدب ..)

ـ تلك اللعبةُ كاملةٌ ياشعراء !

قلنا : لسنا نُتْقِنُ هذى اللعبة

فالكِلْمةُ سيفٌ إن يُكْسَرْ يوما

سقطَ الفارسُ .. وانفرطَ الشعر ..

قالوا : فلسفةٌ يُعْوِزُها البرهان

ما أعجبَكُم .. فقراء ..

وموائدُنا .. تدعوكُم كلَّ أوان

ما أجهَلكُم .. شعراء

وليالينا .. مفعمةُ الألوان

نِعَمٌ وارفةٌ .. وفنونٌ .. وجنان ..

قالوا ـ فيما قالوا ـ :

(العالم سيركٌ للألعابِ النارية

من يحرزْ سبْقاً .. يصعدْ للأدوارِ العُلوية ..)

لكنا ياشاعرَنا ـ مثلَكَ ـ ألجْمنا أنفسَنا

لم نتدربْ فى الحلَبة

كادت تقتلُنا الأفيالُ .. وتأكلُنا الدببَة

فخسِرنا اللعبة ..

وتعانقنا فى وهجِ الشمسِ .. وتحت ظلالِ اللغةِ الصعبة ..

ـ مثلَك .. مازلنا فقراء

نمتلك الكلْمةَ ـ لاتسقُط

والوجهَ المتشقَ على ساريةٍ ـ لايسقُط ـ

وشراعاً فوق الموج الهادِر ـ لا يسقط

(تلك براءتُنا فى ساعاتِ الشدة !)

٢٥ ـ ٤ ـ ١٩٨٧

أحزان عروة بن الورد

تأخذين برأسىَ كلَّ مساء

تجيدين هدهدةَ القلب

تحتملين غبارَ المسافاتِ .. عصْفَ الحكايات

عيناى تلتثمانِ .. تَحُطّان فوق عذوبةِ صدركِ ..

أقْضِمُ خبزى المندىَّ بصوتكِ

- يؤنسُنى فى ليالىِ التوجسِ والغزو-

يزرعُ فى الصحراءِ نخيلاً .. إليه أفىءُ

وأغمضُ عينىَّ ..

أحلُم أنى بصدركِ طفلُ التوهج ..

- أنكرتنى القبيلةُ منذ ولدت ..

طاردتنى القبيلةُ .. ضجَّ بىَ الشعرُ والشعراءُ
رمتنى القبيلةُ بالشِّرْكِ .. والإفكِ
ـ تطلبُ رأسىَ ـ
تمنح أبهى القلائدِ للفائزينَ ..
ـ ارتميتُ بصدركِ يارحبةَ الصدر
لُذْتُ بعينيكِ
سيفى جفونُك ..
شِعرىَ من وجنيتْك يضىء

......

جئت رثَّ الثيابِ فقيرا
أغنِّى بشعرِى لمن هام مثلىَ فى الصحراء
ـ جئتُ .. لا تنكرى الخطْوَ
لاتسلمينى لسيف القبيلة
حسبى (أقسِّمُ جسمىَ بين الجسُوم
وأحسُو برودةَ مائىَ .. من أجل عينيكِ
تشْقى جراحِىَ من أجلِ عينيكِ

ينطلقُ الشعرُ منى سِهاماً تمزقُ ليلَ المرابين

تُسقط أعتىَ الحصون ..)

- وأنا لا أهون ..

لأنىَ عاهدتُ عينيكِ ذاتَ صباحٍ .. وهاجرتُ

يوماً ..

أُغيرُ على النَّجْدْ

يوماً ..

أُغير على السَّهل .

كلُ الليالى الكئيبةِأُسقِطُها تحتَ سيفىَ

كلُ حكايا الصعاليكِ

كلُ الأساطيرِ

تذْكُرُنى فى ليالىِ القبيلة

- ليس لى الآنَ غيرُ ملامحِ وجهك

شاهتْ وجُوه القبيلة

شاه بها الشعراء

- يريقُون وجهَ القصائد بين دِنانِ الشراب

يحيلُون سَقْطَ الرجالِ ملوكاً على الأرض ! !

شاهَ بها الشعراء ..

ـ منذ هاجرتُ .. سيفىَ أُشرِعُه فى الوجوهِ الكئيبة

حرفىَ أُنْفِذُه فى القلوبِ ..

لعلَّ الحجارةَ تسقُط

أبنى سياجاً من الحب ..

أفتح باباً من الدفء .. للأشقياء ..

ـ اقبلينى ـ كما جئتُ ملتجئا ..

اجعلى الحبَ بينى وبينكِ مبتدءا

إن شعرىَ منذ سئمتُ القبيلةَ مشتعلٌ فى العراء

لا تطيلى التساؤلَ عن سفرى فى ليالى الشتاء ..

ـ إن سيفىَ ملكُ يمينىَ .. مازال

والشعراءَ ..

يريقون ماءَ الوجوه ..

يكيدُون للشعرِ ... والوطنِ ـ الخصْب ـ

ـ أيقظى الآن عينيك

ظُلِّى لدىَّ ..

اجعلى الحبَّ بينى وبينكِ مبتدءا

- أيقظى الآن قلبَك

لاتسلمينى لسيفِ القبيلة

٢٢ - ٧ - ١٩٨٤

إســـــراء

[إلى أطفال الحجارة]

صليتُ الفجر..

فأحسستُ الرعشةَ تسْرى فى أعماق

انتفضَ القلبُ الخاملُ.. شُقَّ جدارُ الليل

خاطبنى المَلَكُ النورانى :

ـ اتبعنى ياعبدَ الله..

ـ لكنى لستُ نبياً ، أو صدِّيقاً.. أو حتى عرافا. ! ـ

صاح : اتبعنى يا عبدَ الله.. ولا تسألْنى..

حلَّق بى الملَكُ النورانى..

ذَهَلت عيناى.. وأصْغت أذناى

ـ كانَ العالمُ من تحتِي قبضةَ كف

والريحُ تسابيح ..

ولونُ الشمسِ رذاذاً فوق غصونِ الأشجار

ـ تساءلتُ : إلى أيْن ..؟

ـ فى لمحةِ عيْن . !ـ

هبط المَلَكُ النورانى ..

أنزلنى فى صحراءٍ ... قال :

ـ هذا قدرُكَ يامسلوبَ الخطو

انظر قدَّامَكَ أو خلفَكَ .. تعرفْ ماذا ينتظرك

ـ كانت صحراءٌ قانيةٌ تسبحُ فى موجِ سراب

قلت : لعل الشمسَ استعرت

فقبضتُ الرملَ بكفىَّ .. قبضتُ دماً مازال نديا

فارتعدَ القلبُ وزاغَتْ عيناى ..

تلفتُ .. فلم أجدِ المَلَك النورانى

أسرعتُ .. أصيحُ .. أصيحُ .. أنادى

فارتد الصوتُ عليلاً فى أعماق ..

حدّقتُ النظرَ طويلاً.. ثار غبارٌ.. أخذته الريْح بعيدا

- هذا سورٌ.. أم بيتٌ مهجور-

أسرعتُ إليه.. درتُ كثيراً حولَ السورِ.. تسللت

- أكوامٌ رمال..

بابٌ مكسورٌ.. ونوافذٌ تصفِرُ فيها الريح

وأحجارٌ متناثرة

لُعَبُ.. أوراقٌ.. أقلامٌ.. وحقائب

رائحةٌ للموتِ.. مقاعدُ متخاذلةٌ..

أقمصةٌ دامية

وحكاياتٌ ناقصةٌ فوقَ شفاهِ الأطفال..

- خففتُ الوطءَ قليلا

يتدلىَّ جرسٌ من فوقِ جدار

مازال أبو ياسرَ يُمْسِكُ حبلَ الجرس

وينظرُ فى ساعتِه الرقمية

والأطفالُ.. أراهُم فى غُرفِ الدرس

نياماً فوق موائدهم..

أو تحت موائدِهم ..
ينتظرون نهايةَ هذا الفصل ..
وفوق السَّبورةِ تاريخٌ مشئوم
أخطأَ كاتبهُ فى السنةِ الميلادية
فلم يكتبْ رقمَ الألف
(أتُراه يعنى عصْرَ الغاب
أم حاولَ عمداً أن يرتدَّ الزمنُ ولايمتد !)
قلت : أكونُ أبا ياسر
وأدقُّ الجرسَ الصامتَ أُنْهى هذا الليلَ الموحش
أسرعتُ .. تعثرتُ برأسٍ صغيرٍ يتوسل
أمسكتُ الرأسَ أسائِله قال :
ــ نحن الأطفالُ الشهداء
نحن حجارةُ هذا السور
ومئذنةُ الأقصى .. والساحةُ ــ داميةً ــ
نحن الأجراسُ .. وأوراقُ السادةِ فوق موائدهم
نحن اللعبةُ ــ خاسرةً ــ فى أيديكم

نحن حكاياتٌ متجددة ..

فاقرع أجراسَكَ للسادة ..

لاتقرْعها للأطفال ..!

....

ـ انهار الصمتُ بقلبي .. فتفجَّرَ جمْرا

وتقاطر من عينىَّ دموعاً .. غمرتْ جمجمةَ الطفل

انطلق دخانٌ يصّاعدُ .. يصّاعدُ .. ينشق :

ـ صوتُ طبول .. وزئيرٌ وحوش

وشظايا ..

ألقيتُ بنفسى فى أقربِ حفرة ..

وضممتُ إلى صدرىِ كلَّ جماجم أطفالى ..

.....

ـ واجهنى الملَكُ النورانى :

(الآن تخيَّرْ أقدارَك !)

قلت : الجرسُ الصامتُ يقرعُ رأسى

لكنَّ جماجمَ أطفالىِ .. تشطُرنى نصفين

قال : احملْها معكَ الآن
واضربْ كلَّ رءوس السادة
وانثرها فوقَ موائدهم
واملأها بشرابٍ يوقظُ فيهم ماغابَ ..
ومامات !

.....

- لا أكذِبُكم ياسادَتَنا
أسريتُ الليلةَ .. واستعرتْ أعماقى
أبحث فيكم عن صِدِّيقٍ واحد
يحملُ مثلى هذا القدرَ الدامى
ويدقُّ الأجراس . !

١٣ - ٢ - ١٩٨٨

الصيــاد

حدَّثتُه .. حدَّثنى

ولم يزدْ عن جملةٍ واحدة

ثم اختفى فى الموج ..

ألقيتُ ما أحملُ من شباكى

قرأتُ سورةَ البحر .. وسورةَ الصحراء

وكلَّ مالم تُنزلِ السماء ..

أشعلتُ فوق الشاطئ البَخور

ألقيتُ التمائمَ المرصودة ..

لكنه غاب .. وأمعنَ الغياب ..

أنصتُّ .. صوتُ طفلتى التى اصطفاها الموج

يوماً .. وحدها ..

أنصتُّ .. صوتُ ماتقصَّفَتْ به الضلوع

مايشْرَقُ فى الحلوق ..

نزعتُ قلبى من إساره

قذفتُه فى البحر .. حتى يستجيب

زُلزِلَتْ مفاصلُ البحر .. وملأ الفضاء ضِحْكاَ

يا أيها القاصمُ ظهرى ألفَ مرةٍ

أريدُ فُلْكاَ

هزأْتَ بى ..

أسقطنى العالمُ من حسابهِ

وراهنَ الملحُ علىَّ الجَمر

زُلزلتْ مفاصلُ البحر .. وملأْ الفضاء قصْفاَ

غامت بعينىَّ السماءُ .. هل أنالُ حتْفاَ

وخطوىَ الموءودُ لم يُسْعِفْ شباكى بعد

وطائرُ النورسِ لم يجئْ فى موعده ..

ــ أنذرنى البحر .. استقرَّ تحت جلدى ملحُهُ

ظمِئت ..

قال : غاب الوطُن القدُيم فى جوفى

كما يغيب كلُ شىء.

فأدِرْ لى ظهرَكَ الآن .. ولمْلم الشباك

واحملْها على الكتْفَيْن ..

فربما جنِّيةٌ تُبعثُ من قلب الرمالِ لك

تقولُ : (شُبَّيكَ ولبَّيْك ..)

وربما ..

تصنعُ من خيالها الوطن ..

قلت : فقدتُ القلبَ فى موجِك

من أجل الذى يغيب

وحرفتى .. أصيدُ فى الماء

ولا أصيدُ فى الصحراء ..

ـ زلزل البحر بضحْكِه الفضاء

غامت السماء

تساقطت فوق الرمال سحباً .. وموجا

ـ هل تصلُح الشباك أن تصيد فى البحر الجديد

وطنا ! .

٥ ـ ٦ ـ ١٩٨٨

التبـاس

من يصدِّقُ من ..
من يكذِّبُ من ..
النبوءاتُ تأتى من البحر
والبحر لايستقر ..
والعبابُ الذى ثار من لحظةٍ
يترك الآن فوق العيون الزَبَّد
ثم يسرعُ .. يُفلتُ عن قبضة اليد ..
....
من يصدقُ من
من يكذبُ من ..

الذى قال بالأمسِ قولتَه

أقبلَ اليوم ينكرُ ماقال

ـ لونٌ جديدٌ على شفَتيْه

سوادٌ كئيبٌ بعينيه

حسٌ خفيٌ بكفيه

ـ الذى قال بالأمسِ قولتَه

لم يقلْها وسيفٌ يباغتْه

أو شظايا من الجمْر تشطُره

ـ الذى قال بالأمس ..

ماعاد نصلاً وصخرا

وما عاد للقادمين النبوءة

....

من يصدق من ..

قال لى صاحبى ـ ورمال التواريخ ترسْم عينيه ـ :

ـ أنت ترهق نفسك شعرا

وتذبح نفسك قهرا ..

إن هذا الزمان الذى نقبضُه

يحرق الآن أصباغه ..

يتسرب من فتحات الأصابع

ـ هذا الزمان غريبٌ على الأزمنة

أترى الآن أشجاره

كيف تفقدُ أثمارها وهى تشمخ فوق الرمال

ـ أترى الآن فُرسانَه

يختفون وراءَ الحوائطِ كالنسوةِ العاقرات

ـ أترى الآن كيف يهمُّ الصغار

وقد حملوا فى الجيوب الحجار

عليها دمُ الكلمات . حروفُ الوطن ..

ـ قال لى صاحبى :

إن هذا زمان الكبائر

هذا ضياع المصائر ..

من يشرب الكأس .. ماتت لديه الضمائر

أترى الآن كيف تناثَرَ بين الدروبِ الرفاق

تاركين على السفح رايتهم .. راحلين

تحطّ عليها النسور

ويجتمعُ النملْ

حتى تصير المدائن شائهةً

....

- رايةٌ فوق هذى الشطوطِ .. المدائن

كانت تجدِّدُ ذاكرةَ العربى زمانا

ولكنها الآن غائبةٌ ..

ليتها غيبةُ العاشقين

ليتها امرأةٌ .. نفضت فى الظلامِ ضفائرَها

وانثنتْ نجمةً .. أو نسيمْةَ حلمٍ ..

إلى أن يجىء الصباح

فتلبَس زينَتَها ..

- إنها امرأةٌ عاهرة

خلعت فى الظلامِ غلائِلَها

ثم ألقت أنوثَتَها بين دفءِ الرجال

إلى أن يجىء الصباح

فتخرجُ عاريةً
وتجاهر بالسرِ.. والضحكةِ الساخرة..

......

- من يصدق من
الرياح تصفِّرُ كالجرح
والرملُ منتفخٌ فى العيون
ورائحةٌ من خلال التوابيت
تهرُبُ منها العصافير
والأصدقاء على مفرِق الدربِ ينسحبون
وصوتٌ من الغيب..!

......

لم يبْقَ غير الصراخ الذى
ألبسَ الوهمَ
ثوبَ الوطن..!

٧ - ١٢ - ١٩٨٨

ســوق عـكاظ

أجِّل الآن هذا الحُداء

تتوخَّى القوافُل أن تتلكأَ فى الظلِ

حتى يتم لقاءُ المحبين..

حتى أرى الشعراء يميلونَ نحو القباب

قُبيْلَ الرحيل..

أجِّل الآن هذا النداءَ العليل

إنها السوقُ تنفضُّ.. هل من سبيل

والقصائدُ تنزفُ أحرفَها فى التلول

وثأرٌ جديدٌ يثور

وثأرٌ قديمٌ يزول..

أجّل الآن هذا الصراخ ..
إنها السوقُ مهْدُ الحكايات
تعصفُ حيناً بفرْسانها الفاتحين
وحيناً تفاخرُ بالقاعدين
ولاشيءَ يبقى سوى دمعاتِ الصغار
ـ بنا .. نبْكِ ذكرى الديار
ونبكِ انتظارَ النهار
وأوجاعَ من يرحلون
إن قيساً مع القاعدين
وليلى مع النائحين
ورزءَ جليلةَ مازال يُنبِتُ فى الرمل
ورداً .. وصفصافةً .. وأنين
وبين الخنادق ألفُ قتيل ..
ـ أجِّل الآن ماسوف يأتى
وما سيكون ..
أجل الآن هذا النواحَ .. وأوقفْ رياحَ الحنين

وحدِّق بأقدامِنا

بعيونِ الصبايا

بكل الجرار التى فَرَغَتْ منذ حين

بالدماء التى لاتزالُ على صخرةٍ لاتلين

إنه الوجعُ المتوقِّدُ فى العين

والهَلَعُ المتجدِّدُ فى القلب

والصلواتْ .. الفروضْ .. النوافلْ .. والسَّهْوْ

والرعشاتْ بصدرِ الصغارِ المهانين

- لن يقبلَ الله منا التبتُّلَ

والرقُّ فى السُّوقِ مازال نهراً يسيل

وأشجارُنا تحتفى بالعويل

وسوْطُ يهوذا

وحبلُ المشانقِ .. والقهرْ

ينتظرُ القادمين

......

- كان فى البدءِ هذا الكتابُ المبين

كان بين يدينا ورودَ اليقين..
إنه اليومَ تلعقُه فى الخرابِ.. الكلاب
إنه اليوم بَدءٌ.. ودربٌ.. وأىُ انتهاء
أجِّل الآن هذا الحُداء
وابدأ الآن سوقاً نجادلُ فيها طويلا
بلا شعرَ.. أو قافية..
نجادل بالبندقيةِ..
بالسوطِ..
بالحَجَر.. الَجْمرِ..
بالسَّهرِ.. الصَّحْوِ.. فى فلواتِ الشتاء
......
لست أطلبُ حربَ البسوسِ.. ولاصلفَ الأغبياء
ولسنا نحاربُ من أجل ذيْل بعيرٍ
ونعْلٍ حقيرٍ
وشِرْوَى نقيرٍ
وصيحةِ فخْرٍ بوجهِ أمير

نحارِبُ من أجل ماضاعَ منا

وماييعَ منا

ومن جاعَ منا

ومنْ ..... !

لست أبكى طلول الحبيبةِ

أو حَصَيات الدِّمَنْ

أجل الآن ذكرَ المحنْ

إنما الذكرياتُ .. وهنْ ..

وابدأ السوقَ ــ لا تستمعْ للوصايا ــ

وأَسْقِطْ جدارَ الوثَنْ ..

قد مضى زمنُ الجاهلية ــ فوق الرمالِ ضحايا ــ

وكلُ المفازاتِ تنكرُ لونَ العفَنْ ..

والذى فى عيونِ الصغار

من القهرِ .. والموتِ

والأمنياتْ ..

يستحقُّ الثمنْ ..

سوهاج

١٠ ــ ١ ــ ١٩٨٩

قصائد الديوان

للشاعر

شعر

ـ الطريق والقلب الحائر	دار الكاتب العربى	١٩٦٧
ـ الهجرة من الجهات الأربع	مؤسسة التأليف والنشر	١٩٧٠
ـ البحث عن الدائرة المجهولة	دار الناشر العربى	١٩٧٣
ـ الليل وذاكرة الأوراق	مكتبة مدبولى	١٩٧٧
ـ الخروج إلى النهر	هيئة الكتاب	١٩٨٠
ـ السفر والأوسمة	دار الشروق	١٩٨٥
ـ العطش الأكبر	مكتبة مدبولى	١٩٨٦
ـ الشوق فى مدائن العشق	هيئة الكتاب	١٩٨٧

المسرح الشعرى :

ـ أخناتون	دار المعارف	١٩٨٢
ـ شهريار	هيئة الكتاب	١٩٨٣
ـ عنترة	هيئة الكتاب	(تحت الطبع)

دراســات :

ـ شعرنا القديم رؤية عصرية	المجلس الأعلى للثقافة	١٩٨١
ـ المرآة فى شعر البياتى	هيئة الكتاب	١٩٨٤
ـ أطفالنا فى عيون الشعراء	دار المعارف (ط٢)	١٩٨٨
ـ محمد الهراوى شاعر الأطفال	المركز القومى لثقافة الطفل	١٩٨٦

للأطفــال :

ـ حكايات من ألف ليلة وليلة	(٥ حكايات) دار الشروق	١٩٨٠
ـ عشر مسرحيات شعرية	مؤسسة الخليج العربى	١٩٨٨
ـ حكمة الأجداد	مؤسسة الخليج العربى	١٩٨٩

رقم الإيداع : ١٧٩١ / ١٩٨٩
الترقيم الدولى . ٨ - ٢٩٩ - ١٤٨ - ٩٧٧

مطابع الشروق

القاهرة: ١٦ شارع جواد حسنى - هاتف ٣٩٣٤٥٧٨ - ٣٩٣٤٨١٤
بيروت ص ب ٨٠٦٤ - هاتف ٣١٥٨٥٩ - ٨١٧٧٦٥ - ٨١٧٢١٣




قراءة
في كتاب الليل
شعر
أحمد سويلم